الأسلوب وعلاقته بالبلاغه

عیسی متقی زاده*

چکیده

اسلوب شیوه خلق اندیشه وبیان آن در قالب الفاظ مناسب است. در کتاب های علوم بلاغی به موضوع اسلوب اهتمام شایسته نشده است هر چند در آثار گروهی از دانشمندان به بعضی از ویژگی های لفظی اسلوب اشاره شده است؛ اما این اطلاعات در بخش های مختلف آثارشان پراکنده است وبابی به آن اختصاص داده اند اسلوب وبلاغت با هم چه ارتباطی دارند ؟ وفرق بین آن دو چیست؟

شکی نیست که اسلوب وبلاغت هر دو به لفظ ومعنی ومطابقت با مقتضای حال عنایت دارند اما موضوع بلاغت اعم از موضوع اسلوب است . بلاغت برای رسیدن به کلام مطلوب از همه وسیله های معنوی وبیانی وبدیعی بهره می گیرد اما اسلوب شامل وسایل معینی است که نویسنده ای در موضوعی خاص از آن استفاده می کند . به تعبیر دیگر بلاغت علم است قبل از این که فن وشیوه باشد ، اما اسلوب عبارت از بلاغت یک مؤلف است ، شیوه ای خاص که نویسنده برای تحقق بلاغت در اندیشه وتعبیر از آن استفاده می کند .

واژهای کلیدی : اسلوب ، بلاغت ، معانی ، بیان ، تعبیر

الأسلوب لغةً واصطلاحاً

الأسلوب لغةً :

---

*عضو هیأت علمی دانشگاه علامه طباطبایی

الأسلوب : الطريق ، وعنق الأسد والشموخ فى الأنف[١].

جاء فى لسان العرب : الأسلوب يقال للشطر من النخيل ، وكل طريق ممتد فهو أسلوبٌ ، و «الاسلوب» الطريق، والوجه، والمذهب، يقال: أنتم فى أسلوب سوء و ... «الأسلوب» الفنّ، يقال: أخذ فلان فى أساليب القول، أى فى أفانين من القول[٢].

وقد جاء فى تاج العروس: الأسلوب، بالضم: الفنّ، يقال: أخذ فلان فى أساليب من القول، أى أفانين منه، (و) الأسلوب: (عُنُق الأسد)، لأنّها لا تُثْنَى.

ومن المجاز: الاسلوب: (الشُمُوخُ فى الأنف). وإنَّ أنفه لفى أُسلوب، إذا كان متكبراً لا يلتفت يَمْنَةً ولا يَسْرَةً.

قال الأعشى:

ألم تَرَوْا لِلْعَجَب العجيبِ

أنَّ بنى قَلاَّبَةِ القُلُوبِ

أُنوفُهُم مِلْفَخْرِ فى أُسلوبِ

وشَعَرُ الأستاهِ بالجَبُوب

يقول: يتكبّرون وهم أخسّاء.

كما يقال: أنْفٌ فى السماء وأسْتٌ فى الماء[٣].

الأسلوب اصطلاحاً :

الأسلوب ظاهرة تلازم تحقق العملية اللغوية، المحكية منها، أو المكتوبة.

یقول ابن خلدون: «الأسلوب هو عبارة عن المنوال الذی تنسج فیه التراکیب، أو القالب الّذی تفرغ فیه، وهو یرجع إلی الصورة التی ینتزعها الذهن من أعیان التراکیب، وأشخاصها، وهی الصورة الصحیحة باعتبار ملکة اللسان العربیّ.

ثم یضیف أن هذا المنوال أو القالب، بعد أن ینتزع صورته الصحیحة نحواً وإعراباً وبیاناً، هو یتسع بالحصول الوافی بمقصود الکلام... فإن لکل فن من الکلام أسالیب تختص به، وتوجد فیه، علی أنحاء مختلفة»[۴].

وفی اصطلاح البلاغیین: هو طریقة اختیار الألفاظ وتألیفها للتعبیر بها عن المعانی قصد الإیضاح والتأثیر، أو هو العبارات اللفظیة المنسقة لأداء المعانی، فأسلوب القرآن: هو طریقته التی انفرد بها فی تألیف کلامه واختیار ألفاظه[۵].

یقول الأستاذ الزیات:

إنّ الأسلوب هو «طریقة خلق الفکرة... وإبرازها فی الصورة اللفظیة المناسبة»[۶].

أمّا الأستاذ الشایب فیحدّده بأنه «طریقة التفکیر والتصویر والتعبیر»[۷].

وهکذا نری أنّ الأسلوب فی نظر المعاصرین یشمل الناحیتین المعنویة واللفظیة جمیعاً ولا بدّ أن نشیر إلی أنّ الأسلوب هو الإنسان والمؤلف والموضوع. ویتضح لنا ذلک عندما نحلّل مفهوم تلک الطریقة المعینة فی التفکیر والتعبیر. إن عملیة التعیین عملیة أسلوبیة یقوم بها المؤلف، فیختار الخطة ویرتب الأفکار وینتقی الألفاظ ویرکّبها فی الجمل، بحیث تکون منسقة متلائمةً، تحقق قصده فی التأثیر والإقناع، حین تعبّر عن وجهة نظره الشخصیة إلی الأمور والأحداث، وتعکس بالتالی صورة شخصیته الفکریة والإنسانیة والأدبیة.

و أخیراً نقول إن الأسلوب هو طریقة معینة فی التفکیر والتعبیر بحسب ما یقتضیه الوضع والحال، حال الکاتب وحال الموضوع وحال المخاطب.

البيان لغةً واصطلاحاً

جاء فى القاموس المحيط: «البيان: الإفصاح مع ذكاء»[٨].

وقد جاء فى لسان العرب: البيان: ما بُيِّنَ به الشيء من الدلالة وغيرها. وبان الشيء بياناً: اتَّضح، فهو بَيِّنٌ، والجمع أبْيناء، مثل هيِّنٌ وأهيناء، وكذلك أبان الشيءُ فهو مبينٌ.

البيان لغةً: الظهور والوضوح، نقول: بأن الشيءِ يبين، إذا ظهر واتَّضَح... والبيان ما بُيِّن الشيء من الدلالة وغيرها. وبان الشيء بياناً: اتّضح فهو بيِّنٌ. والجمع أبيناء. أبنته أنا، أى أوضحته. واستبان الشيء: ظهر، واستنبتُه أنا: عرفته. وتبيّن الشيء: ظَهَرَ والتبيين: الإيضاح: هو أيضاً الوضوح.

ومعانى البيان: الفصاحة واللسن. وكلام بيِّنٌ. فصيح. والبيان: الإفصاح مع ذكاء. والبيِّن من الرجال، الفصيح. وقال ابن شميل: البيِّن من الرجال: السَمْح اللسان، الفصيح الظريف، العالى الكلام، القليل الرتج.

وفلان أبين من فلان أى أفصح منه وأوضح كلاماً. ورجلٌ بيِّن فصيح[٩].

ورُوِى عن ابن عباس عن النبى (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «إنَّ من البيان لسحراً وإنَّ من الشعر لحكماً»[١٠]. قال: البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم، وذكاء القلب مع اللَّسَن، وأصله الكشف والظهور. وقيل: معناه أن الرجل يكون عليه الحق، وهو أقوم بحجته من خصمه، فيقلب الحقَّ ببيانه إلى نفسه، لأن معنى السحر، قلب الشيء فى عين الإنسان، وليس بقلب الأعيان. وقيل: «معناه إنه يبلغ من بيان ذى الفصاحة أنه يمدح الإنسان فيصدِّق فيه. حتى يصرف القلوب إلى قوله وبغضه، فكأنه سحر السامعين بذلك. وهو وجه قوله: «إنَّ من البيان لسحراً»[١١].

فالبيان هنا: البلاغة، والقدرة على التعبير، والإقناع والتأثير[١٢].

وقال الزجاج فی قوله تعالی: (خَلَقَ الإنسان * عَلَّمه البَیان)[۱۳] قیل إنّه عنی بالإنسان ههنا النبی (صلی الله علیه وآله)علَّمه البیان، أی علَّمه القرآن الذی فیه بیان کل شیء. وقیل: الإنسان هنا آدم (علیه السلام) ویجوز فی اللغة أن یکون الإنسان اسماً لجنس الناس جمیعاً. ویکون علی هذا علَّمه البیان: جعله ممیزاً، حتی انفصل الإنسان ببیانه وتمییزه من جمیع الحیوان[۱۴].

کلمة البیان تدلّ علی ما تدل علیه کلمة البلاغة. أی أن الفنون البلاغة جمیعاً، کانت تسمی عند البلاغیین فنون «البیان»[۱۵] وذلک عائد إلی معنی البیان لدیهم وهو «المنطق الفصیح المعرب عمَّا فی الضمیر» وهو یطبق علی علوم البلاغة الثلاثة: المعانی والبیان والبدیع[۱۶].

حدد البیان، عند علماء البلاغة بتعریفات عدة، إلا أنها وإن اختلفت تعابیر بعضها عن البعض الآخر لفظاً، إلا أنها تکاد تتفق فی المعنی.

فالبیان حسب هذه التعریفات: «علم یعرف به إیراد المعنی الواحد بطرق مختلفة فی وضوح الدلالة» أو هو «علم یعرف به إیراد المعنی الواحد بطرق مختلفة بالزیادة فی وضوح الدلالة علیه وبالنقصان، لیحترز بالوقوف علی ذلک، عن الخطأ فی مطابقة الکلام لتمام المراد[۱۷].

أو هو «علم یستطاع بمعرفته إبراز المعنی الواحد فی صور مختلفة وتراکیب متفاوتة فی وضوح الدلالة مع مطابقة کل منها لمقتضی الحال»[۱۸].

الأسلوب ومعانیه المختلفة

وأخذت کلمة الأسلوب تتجه لتصبح دلالة علی منحی محدَّد فی هذا النشاط أو ذاک، یحمل قواعد وخصائص تُمیِّزه من غیره من وجوه النشاط وطبیعته.

إنّ كلمة الأسلوب أخذت تحمل معها فى تاريخ لغتها والشعوب التى تنتمى إليها اللغات معان أخرى وإيحاءات جديدة من خلال الممارسة وتطور الحياة ومشكلاتها.

من خلال هذا النمو والتطور أصبحت كلمة أسلوب مصطلحاً خاصاً له تعريفه ودلالته، متصلاً بالأصل أو منفصلاً عنه حسب اللغة وتاريخ مسيرتها.

«ومن أهم الميادين التى أصبحت فيها هذه الكلمة مصطلحاً جديداً كان ميدان الأدب وأفنانه وأجناسه وفروعه ومذاهبه. وأصبحت كلمة «الأسلوب» مصطلحاً أدبياً أو نقدياً أو لغوياً، على اختلاف المذاهب والآراء. وأخذ هذا المصطلح يحمل تعريفات مختلفة متضاربة أحياناً، ذلک كله فى ميدان الأدب الغربى. وكانت هذه التعريفات نابعة من مجموع التصورات الفلسفية والفكرية السائدة لدى الشعوب الغربية، ومن جذورها العميقة فى تاريخهم، الجذور الممتدة إلى اليونان والرومان ووثنيّتهم»[١٩].

وفى الوقت نفسه كان المسلمون يمتدون فى الأرض يحملون رسالة اللّه إلى الناس كافة ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً، دين جميع الرسل والأنبياء الذين خُتِموا بمحمد (صلى الله عليه وآله) وبالقرآن الكريم الذى جاء وحياً من عند اللّه مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، جاءت رسالة محمد (صلى الله عليه وآله) الرسالة الخاتمة، تحمل النور والهدى للبشرية كلها، منهاجاً ربّانياً متكاملاً متناسقاً ينظم حياة الإنسان فى جميع ميادين الحياة الدنيا، على نهج وصراط مستقيم ممتد إلى الدار الآخرة»[٢٠].

ومن خلال هذا الدين العظيم انطلقت مواهب المسلمين فى ميادين شتى من العلوم والدراسات. وكان الأدب واللغة من بين ذلک. وكان الأسلوب ينمو تصوره وخصائصه ودراساته كذلک، على نحو مختلف عما سار عليه الغرب.

الأسلوب فی اللغات الأوروبیة المعروفة

لقد اشتقت کلمة «أسلوب» فی اللغات الأوروبیة المعروفة من الأصل اللاتینی Stilus وهو یعنی «ریشة» ثم انتقل عن طریق المجاز إلی مفهومات تتعلق کُلّها بطریقة الکتابة؛ فارتبط أولاً بطریقة الکتابة الیدویة، دالاً علی المخطوطات، ثم أخذ یطلق علی التعبیرات اللغویة الأدبیة؛ فاستخدم فی العصر الرومانی ـ فی أیام خطیبهم الشهیر «شیشرون» ـ کاستعارة تشیر إلی صفات اللغة المستعملة؛ لا من قبل الشعراء، بل من قبل الخطباء والبلغاء، وقد ظلت هذه الطبیعة عالقة إلی حد ما بکلمة Style حتی الآن فی هذه اللغات؛ إذ تنصرف أولاً إلی الخواص البلاغیة المتعلقة بالکلام المنطوق. ولما کانت الأعمال الأدبیة تختلف أساساً عن الخطابة واللغة المنطوقة فإن تعلق مفهوم الأسلوب بما یشیر إلی بعض الخواص الکلامیة فیها. ویری بعض الباحثین أن اشتقاق الکلمة من أصل لاتینی ـ لا اغریقی ـ کما هی الحال فی معظم المصطلحات البلاغیة الأخری له أهمیة خاصة، فأرسطو مثلاً یستخدم Lexis أی لغة أو کلمة مقابل Taxis أی نظام التی تترجم عادة بقول أو أسلوب، لکن کلمة Stylos تعنی فی اللغة الإغریقیة «عموداً»، ومن هنا جاءت تسمیة زاهد متصوف مثل «سیمیون» «الأستیلیتا» إذ کان یعیش علی عمود قدیم تقشفاً وزهداً. أما شکل کلمة style فی اللغة الانجلیزیة، بدلاً مما کان ینبغی أن تکتب به stil فمبنی علی أساس توهم الأصل الإغریقی، لا مطابقة الأصل اللاتینی الحقیقی کما یقول قاموس «أوکسفورد»[۲۱].

وهناک تعاریف متنوعة فی مشاربها. مختلفة فی اتجاهات أصحابها فی تمثل الأسلوب. ویمکن من وجهة نظر ألسنیة، عرضٌ أبرزها فیما یلی:

۱ ـ من زاویة المتکلم، أی ـ الباث ـ للخطاب اللغوی، الأسلوب هو الکاشف عن فکر صاحبه ونفسیته، یقول أفلاطون: کما تکون طبائع الشخص یکون أسلوبُه، ویقول بوفون: الأسلوب هو الإنسان نفسه. ویقول

جوته: الأسلوب هو مبدأ التركيب النشط، والرفيع، الذى يتمكن به الكاتب النفاد إلى الشكل الداخلى للغته والكشف عنه[٢٢].

٢ ـ من زاوية المخاطَب، أى ـ المتلقى ـ للخطاب اللغوى (الأسلوب، ضغط مسلط على المخاطبين، وأنّ التأثير الناجم عنه يعبر إلى الإقناع أو الإمتاع، ويقول «فاليرى» وأيضاً جيد أن «الأسلوب» هو سلطان العبارة. ويقول «ستاندال» «الأسلوب» هو أن تضيف إلى فكر معين جميع الملابسات الكفيلة بإحداث التأثير الذى ينبغى لهذا الفكر أن يحدثه، ويقول «ريفاتير» الأسلوب هو البروز الذى تفرضه بعض لحظات تعاقب الجمل على انتباه القارئ، فاللغة تعبر والأسلوب يبرز.

٣ ـ ومن زاوية الخطاب، أو لنقل النص نفسه، «الأسلوب» هو الطاقة التعبيرية الناجمة عن الاختيارات اللغوية ... وقد حصر «شارل بالى» مدلول الأسلوب فى تفجّر طاقات التعبير الكامنة فى اللغة، ويعرّف «ماروزو» الأسلوب بأنه: اختيار الكاتب ما من شأنه أن يخرج بالعبارة من حالة الحياد اللغوى إلى خطاب متميز بنفسه. ويعرفه «بييرو غيرو» بأنه: مظهر القول الناجم عن اختيار وسائل التعبير التى تحددها طبيعة الشخص المتكلم، أو الكاتب، ومقاصده[٢٣].

الأسلوب وعلاقته بالبلاغة

عندما نتكلم عن أسلوب كاتب ما، سرعان ما يتبادر إلى أذهان الناس العنصر اللفظى والطريقة اللغوية فى الكتابة. فلماذا طغت هذه الناحية اللفظية على الناحية المعنوية فى مفهوم الأسلوب؟ وهل هناك ما يبرر هذه الظاهرة؟

لقد حاول الأستاذ أحمد حسن الزيات أن يُفسِّر هذا الموضوع. فقال: إنّ كتب البلاغة العربية لم تُعْنَ

بالأسلوب من حیث إنّه فکرة وصورة معاً. بل انحصرت عنایتها بالجمل وما یعرضُ لها فی علم المعانی، وبالصور وأنواعها فی علم البیان[۲۴]. نعم لقد ذکر أبو هلال العسکری وعبدالقاهر الجرجانی وابن الأثیر بعض خصائص الأسلوب الفنیة وصفاته اللفظیة. إنما هذه المعلومات کانت شائعةً مبعثرة فی کتبهم. لم یعقدوا لها أبواباً، ولم یحدّدوها فی فصول، بل صرفوا جل اهتمامهم إلی الألفاظ وأعطوها المکانة الأولی فی البلاغة، وأغرقوا فی علم المعانی المأثور والبیان والبدیع. فنری مثلاً ابن المعتز یطلق علی ما کتبه فی البلاغة اسم «البدیع»[۲۵].

ویأتی بعده أبو هلال العسکری ویصرح بجرأة کبیرة فیقول: «ولیس الشأن فی إیراد المعانی، لأن المعانی یعرفها العربی والعجمی والقروی والبدوی. وإنما هو فی جودة اللفظ وصفائه وبهائه... مع صحة السبک والترکیب، والخلو من أود النظم والتألیف. ولیس یُطلب من المعنی إلا أن یکون صواباً... ومن الدلیل علی أن مدار البلاغة علی تحسین اللفظ، أن الخطب الرائعة والأشعار الرائقة، ما عُملت لإفهام المعانی فقط، لأن الردیء من الألفاظ یقوم مقام الجید منها فی الإفهام... وأکثر هذه الأوصاف ترجع إلی الألفاظ دون المعانی... ولهذا تأنق الکاتب فی الرسالة والخطیب فی الخطبة والشاعر فی القصیدة.. ولو کان الأمر فی المعانی، لطرحوا أکثر ذلک، فربحوا کدّاً کثیراً، وأسقطوا عن أنفسهم تعباً طویلاً»[۲۶]

هکذا فصل أبو هلال العسکری بین اللفظ والمعنی فی البلاغة وآثر اللفظ علی المعنی بدرجات. فإن اللفظ یمثّل دوراً مهماً فی تأدیة المعنی، ومن شأنه أن یُجَمِّل فکرة مبتذلة ویقبِّح آراء سامیة، إذ «إنّ الکلام إذا کان لفظه غثّاً، وموضوعه رثّاً، کان مردوداً، ولو احتوی علی أجمل معنی وأنبله وأرفعه وأفضله»[۲۷]. والبلاغیون الذین جاؤوا بعده، صنّفوا فی علم البیان وأسالیبه وازدهر البیان، فی حین أن علم المعانی بقی علی ما هو. فحسبوا «أنّ الأسلوب سردُ الألفاظ لا تُسفر عن معنی، وحشد أسجاع لا تؤدی إلی غرض»

[٢٨]. وقد يكون فى طبيعة اللغة العربية ما حدا بهم إلى هذا الاتجاه، فإنها اكتسبت من مدينة أهلها رقة اللفظ وأناقة العبارة، كما اكتسبت من شاعريتهم جمال الصورة وروعة الأخيلة، بحيث إنّها أغنت الكُتّاب بموسيقاها وحلاها، عن كدّ القريحة فى ابتكار المعانى واستنباط الأفكار»[٢٩].

عندما جاء عبدالقاهر الجرجانى وفّى حق علم المعانى ونظمها، فقد ربط بين نظم الألفاظ ونظم المعانى: «إنّک تقتفى فى نظمها (أى الألفاظ) آثار المعانى، وترتّبها على حسب المعانى فى النفس»[٣٠] ذلک لأن الغرض من نظم الكلم، أن تتناسق دلالتها وتتلاقى معانيها على الوجه الذى يقتضيه العقل»[٣١]. فيجب إذن ترتيب المعانى فى النفس ثم التعبير عنها بالألفاظ، وإذا ما تمّ ذلک، ترتّبت أيضاً الألفاظ بصورة طبيعية، إذ أنّها خدمٌ للمعانى وتابعة لها ولاحقة بها»[٣٢].

فميزة الكلام إذاً فى حيز المعانى دون الألفاظ، «وانّها ليست لک حيث تسمع بأذنک، بل حيث تنظر بقلبک وتستعين بفكرک وتعمل رويَّتک وتراجع عقلک وتستنجد بالجملة فهمک»[٣٣]. وإعمال الفكر فى نظم المعانى وترتيبها، صنعة يختلف البلغاء فى إتقانها ويتفاضلون فى مراتبها، إذ أن لكل واحد منهم طريقته الخاصة فى ربط المعانى وترتيبها، فضلاً عن أن مدار الحكم فى حُسنها وقُبحها يرجع إلى ترتيب المعانى وتلاؤمها وانسجامها»[٣٤]. لا شک أنّ الأقوال تتفاضل، وحظوظها من الاستحسان تتباين، لكن الفضل «ليس بمجرد اللفظ، لأن الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب»[٣٥]. ذلک لأن الألفاظ ليست مقوِّماً لذاتها، إنّما مقوِّمها المعنى الذى كانت له هذه الكلم. وهذا المعنى هو «ترتيبها على طريقة معلومة، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة». وأما الأختصاص فى الترتيب، فـ «يقع فى الألفاظ، مرتَّباً على المعانى المرتبة فى النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل... وعلى ذلک وضعت المراتب والمنازل فى الجمل المركَّبة وأقسام الكلام

المدوّنة»[۳۶] وحينئذ «إذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعراً أو يستجيد نثراً، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ، فيقول: حلوٌ رشيق، وحسن أنيق... فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف وإلى ظاهر الوضع اللغوى، بل إلى أمر يقع من المرء فى فؤاده، وفضل يقتدحه العقل فى زناده» [۳۷].

نستنتج مما سبق أنّ الأسلوب طريقة معينة وفكرة وعبارة.

موازنة بين الأسلوب والبلاغة

إذن ، ما العلاقة بين البلاغة والأسلوب وما الفرق بينهما ؟

البلاغة هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحيث «يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك»[۳۸] إنّ البلاغة تعبير وتأدية عن الفكر والمعنى. على أن تكون تأدية مطابقة لهما، ملائمة للموضوع والمخاطب. فإذا قارنّا هذا التعريف بما قلنا فى تحديد الأسلوب، وجدنا أن الإثنين يُعنيان بالفكر والمعنى من ناحية، وبالعبارة من ناحية أخرى وبمطابقتهما ومناسبتهما لما يقتضيه الحال، من ناحية ثالثة. «غير أن موضوع البلاغة أعمّ من موضوع الأسلوب وأوسع منه. فالبلاغة تشمل كل ما يتعلق بالكلام البليغ، وتبحث كافة الوسائل المعنوية والبيانية والبديعية الموصلة إليه، فى حين أن الأسلوب يتناول فقط الوسائل المعينة التى يستخدمها كاتب معين فى موضوع معين. وبالإضافة إلى ذلك فالبلاغة علم قبل أن تكون فناً. علم لكونها ترشد المتعلم إلى الغاية التى يجب أن يطلبها فى صناعة الكلام، وتعلّمه الطرق المختلفة الجديرة بتحقيق هذه الغاية. فهى تحدِّد الغاية وتقدّم لها الوسائل المناسبة. غير أن البلاغة علماً ليست إلا مرحلة ممهدة للبلاغة فنّاً، لكونها تقوم على حسن استعمال هذه الوسائل

وتطبيقها وتكييفها على موضوع معين»[٣٩].

فالبليغ هو من أحسن علم البلاغة، ثم جسده فى كلامه وتأليفه. ففى هذه الحالة لا نجد فرقاً بين البلاغة فنّاً والأسلوب. «إذ أنّ الأسلوب عبارة عن بلاغة مؤلف معين. إنه طريقة خاصة يسلكها صاحبها لتحقيق البلاغة فى تفكيره وتعبيره»[٤٠].

تضع البلاغة إذن المقاييس والأساليب بين يدى المؤلف، ويقوم هو باختيار ما يناسب موضوعه منها، ثم يعمل على تنسيقه وترتيبه. وفى عملية الاختيار والتأليف، يظهر المؤلف أسلوبه ويضفى على نتاجه الأدبى طابع شخصيته. ونحن نستطيع من دراسة أسلوب ما، أن نبيِّن معالم شخصية المؤلف ونزعاته الفكرية والأدبية. وفى هذا العمل النقدى تفيدنا البلاغة إفادة كبيرة.

فالعلاقة بين البلاغة والأسلوب وثيقة جداً، واذا ما أردنا أن نحدِّد عناصر أسلوب معين، فالمعين الأول فى ذلك هو البلاغة، لا البلاغة التقليدية التى تنحصر موضوعاتها فى علم المعانى والبيان والبديع. بل البلاغة التى تكون «مطابقة الكلام لمقتضى الحال».

مزايا الأسلوب وأنواعه

لقد ذهب «أرسطاليس» فى كتابه «الخطابة» إلى أنّ «الوضوح» من أهم مزايا الأسلوب، لأن الكلام إذا لم يكن واضحاً، لم يؤدِّ وظيفته اللغوية، ومن الضرورى أن يظل بالتالى مناسباً للموضوع الذى ينقله ..

وعلى ذلك، إذا وضعت الكلمة الأنيقة على لسان عبد، أو صبى، أو فى موضوعات تافهة لا تكون مناسبة [٤١] ؛ وذلك فى نظر أرسطاليس هو ما يميز الشعر عن النثر، فيمايز بينهما، إذ أنّ الشعر يتحمل الغرابة فى القول، والخروج عن المألوف، لأن موضوعاته، وأيضاً أشخاصه، هى عادة خارجة عن المألوف.

والغربيون منذ اليونان إلى اليوم يميزون عادة بين ثلاثة أنواع من الأساليب؛ وهى:

١ـ الأسلوب البسيط أو السهل، ٢ـ الأسلوب المعتدل أو الوسيط، ٣ـ الأسلوب الجذل أو السامى ... وهو التقسيم الذى يربط هذه الأساليب بالموضوعات التى يعالجها الخطاب اللغوى وخاصة الخطاب الأدبى.

ولذلک هم يقولون فى الأسلوب الأول، البسيط أو السهل، إنّه يصلح للرسائل والحوار، وفى الثانى المعتدل أو الوسيط إنّه يصلح للتاريخ والملهاة، فى حين أن الأسلوب الثالث، الجذل أو السامى يصلح للمأساة .. إلاّ أن هذا الرأى خلافى، بدليل أن الأنواع الأدبية الحديثة كالرواية، والمسرحية الاجتماعية تستهلک عدة أساليب تظل فيها ناجحة.

العوامل الرئيسة التى يُبنى عليها الأسلوب بتفاعله مع غيره

هناک ثلاثة عوامل يُبْنى عليها الأسلوب ويقوم بها ويخرج منها، وهى اللغة والإنسان والبيئة. وتجتمع هذه العوامل فى الفطرة التى فطر اللّه الناس عليها، وتتعامل فيها مع غيرها من العوامل.

«أمّا اللغة فهى مادة الأسلوب فى أى مجموعة من المجموعات الثلاث، وطبيعة اللغة تُؤثر فى بناء الأسلوب. واللغة العربية هى أغنى لغات الأرض مادة واشتقاقاً، وصياغة وتعبيراً، وأنداها صوتاً وأكملها مخرجاً، وأحلاها جمعاً وتركيباً، وهذا كلُّه يوفِّر ثروة غنية لبناء الأساليب. فالألفاظ نفسها تميّز بين أسلوب وأسلوب من حيث الرقة والعذوبة أو الخشونة والغرابة، ومن حيث دقة الاستخدام وعدالة الموقع. وتظل الألفاظ تؤثر فى وقت واحد بجميع مقوماتها الأربعة: المعنى، الظلال، الجرس، الربط. واللغة هى التى تحدد وسائل الربط فى وحدات البناء كلها. وتظل قواعد اللغة من نحو وصرف وعلوم البلاغة من بيان ومعان وبديع، تساهم فى بناء الأساليب. وتاريخ اللغة يحمل أنماطاً متعددة من الأساليب، منها ما

يسقط ويتبدّل، ومنها ما يستمرّ وينمو، فيصبح تاريخ اللغة وفقهها. يساهمان كذلک فى بناء الأساليب» (٤٢).

أمّا الإنسان فهو الأديب الذى يقوم بمسؤولية العمل الفنّى، حين تعمل فى تقديمه فطرته ونفسه، وعلمه وثقافته، وذكاؤهُ وقريحته، والفطنة والذوق، والخبرة والمران، والسجية فى هدوء ورويّة، أو حدّة وثورة، وغير ذلک من القوى والقدرات العاملة فى فطرة الأديب. إن هذه كلّها تُسهم إسهاماً فعّالاً فى بناء الأسلوب، حتى فى اختيار الألفاظ، وبناء التعبير، ومجمل الصياغة، وإقامة الأسلوب العام. إنّ هذه كلّها هى التى تُوفّر للأديب القدرة على اختيار هذه الطريقة أو تلک، لجمع العناصر الفنية وجمع آثارها وإقامة التفاعل بينهما. وقد يختلف انتقاء الأسلوب بين أديب وأديب، كما يختلف كذلک عند الأديب الواحد نفسه بين لحظة ولحظة، وبين أرض وأرض وبين أحداث وأحداث. ذلک لأنّ الأديب لا يعمل وهو فى صومعة مغلقة. إن الأديب إنسان، كائن حىّ، متصل بالحياة، متصل بالواقع، متصل بالكون، حتى لو عزلته السجون، وأقعدته السنون، وغلبته الهموم، ومن ناحية أخرى، فإننا نستطيع أن نتصور أن للأديب مجموعتين من الخصائص: مجموعة مستمرة تمثل السجية الممتدة، والطبيعة الثانية والنفسية الغالبة. فأثر هذه المجموعة يمثل نهجاً وخطاً دائماً فى عطاء الأديب. والمجموعة الثانية تمثل خصائص آنية تتأثر بالجوّ المحيط، واللحظة القائمة وما فيها من عوامل مؤثرة متغيرة. فالأديب هادئ مطمئن فى لحظة، راض مستبشر، حتى إنک لتلمس ذلک فى اللفظة المختارة والتعبير المنتقى والأسلوب الجامع، وفى لحظة أُخرى قد يغلب عليه الهياج والاضطراب لسبب آخر فتلمس اللفظة الهائجة والأسلوب المضطرب» (٤٣).

«أمّا البيئة فأثرها فى بناء الأسلوب واضح بيّن كذلک. إنّ البيئة بما فيها من تقدم أو تأخر، وطراوة أو يبوسة، ونداوة وجفاف، وعادات وأعراف، وطبيعة أرض وطقس ومجتمع، وخصوبة أو فقر، وحدائق أو

صحراء، هذه كلها تسهم فی بناء الأسلوب كلّه. ابتداء من اللفظة المختارة إلى الجمع الكلی للعناصر الفنّية.

لقد كانت البداوة تعطی قاموساً وأسلوباً يختلف عما تهبه الطراوة والحضارة المادية والعلم.

إنّ التأثير الذی تحدثه البيئة ـ موقعاً وأحداثاً وزمناً ـ هو تأثير عميق، ولكنه تأثير يمرّ عبر الإنسان نفسه، عبر الأديب وفطرته. وكما تتأثر اللفظة بالبيئة كذلک تتأثر وجوه البلاغة وأبوابها. فالتشبيه والاستعارة والكناية تخرج كلها من تجارب الأديب فی بيئته. والبيئة تؤثر فی اللغة ذاتها وفی نموها على تاريخ طويل، حتى تستقر على قواعد وأسس. واللغة العربية نمت ونضجت واستقرت وغنيت بثروة عظيمة من بيئة امتازت بموقع وسط تمر به شعوب مختلفة، وامتازت كذلک بشتى أشكال الطبيعة ونماذجها من صحراء ورمال، إلى وديان وجبال، إلى حدائق غناء، إلى تجارة وتعامل، إلى حروب وقتال، إلى سياسة وهدنة»[۴۴].

فهذه العوامل الثلاث تعمل معاً بطريقة خاصة وتتفاعل فيما بينها على نحو خاص، ومع عوامل أخرى فی فطرة الإنسان لتجتمع نتيجة ذلک فی العمل الفنی فی عناصره كلها وفی الأسلوب بصورة خاصة.

الأسلوب عنصر هام فی كثير من المواقف. ولقد رأينا أنّ اللّه سبحانه وتعالى أمر موسى وهارون (عليهما السلام) أن يتبعا أسلوباً محدداً مع فرعون لعلّه يتذكر أو يخشى:

(إذهبا إلى فرعون إنّه طغى فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى)[۴۵].

فَحَدَّد اللّه سبحانه وتعالى هنا الأسلوب، أسلوب اللين. وحدَّد كذلک الغاية والهدف فَلَعَلَّ هذا اللين يفتح قلبه أو يحرّک فطرته، فيتذكر ما أودع اللّه فيه من إيمان، ويخشى عند ذلک عذاب اللّه، فيؤمن. فالهدف هو تهيئة عاملين من عوامل الإيمان: التذكر والخشية.

وكذلک أمر اللّه سبحانه وتعالى عباده أن يتبعوا أسلوباً معيَّناً فی مخاطبة الوالدين، ليكون الأسلوب لائقاً

بحقهما من الأدب والبر:

(وقَضَى ربُّك ألا تعبدوا إلاَّ إياه و بالوالدين إحساناً إمَّا يَبْلُغنَّ عندك الكِبَر أحدُهما أو كلاهما فلا تَقُلْ لهما أُفٍّ ولا تَنْهَرْهما و قُلْ لهما قولاً كريماً و اخفِض لهما جناح الذُّلِّ من الرَّحمة وقل ربِّ ارْحَمْهُما كما ربياني صغيراً)[٤٦].

إنه أسلوب البرّ والرحمة، والأدب والتقوى. لقد حدّد اللّه سبحانه وتعالى الأسلوب وحدّد الغاية والهدف. فالغاية هنا طاعة اللّه وبرّ الوالدين. أسلوب عظيم وهدف عظيم. فنرى من ذلك كيف أنّ الأسلوب يحمل أكثر من هدف واحد، فلا يكون هدفه الإقناع فحسب.

ويمكن أن نذكر أسلوب رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) فى توجيه الخير وتغذية الإحسان وخطبته فى الأنصار بعد توزيع الغنائم مثل كريم على ذلك:

ففى السيرة النبوية لابن هشام[٤٧]: «فأتاهم رسول اللّه (صلى الله عليه وآله)، فحمد اللّه وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يا معشر الأنصار! ما قالةٌ بلغتنى عنكم، وجدةٌ وجدتموها علىّ فى أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلالاً فهداكم اللّه، وعالةً فأغناكم اللّه، وأعداءً فألّف اللّه بين قلوبكم!» قالوا: بلى، اللّه ورسوله أمنّ وأفضل. ثم قال: «ألا تُجيبوننى يا معشر الأنصار؟» قالوا: بماذا نُجيبك يا رسولَ اللّه؟ للّه ولرسوله المنُّ والفضل. قال (صلى الله عليه وآله) : أما واللّه لو شئتم لقلتم، فَلَصَدقتم ولصُدِّقتم: أتيتنا مُكَذَّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك. أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا فألّفتُ بها قوماً ليُسْلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول اللّه إلى رحالكم؟ فوالذى نفس محمّد بيده، لولا الهجرة لكنتُ امرءاً من الأنصار. ولو سلك الناس شعباً وسَلَكت الأنصارُ شِعباً، لسلكت شِعب الأنصار. اللّهم ارحم الأنصار، وأبناء

الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول اللّه قسماً وحظّاً. ثم انصرف رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) ، وتفرقوا»[۴۸].

فالأسلوب إذن عنصر هام. غايته الأساسية هى إبراز الموضوع المطروح والقضية المطروقة على نحو يساعد على بلوغ الأهداف سواءً الثابتة منها أو المرحلية.

ميزات الأسلوب القرآنى

لقد تواضع العلماء قديماً وحديثاً على أن للقرآن أسلوباً خاصاً به مغايراً لأساليب العرب فى الكتابة والخطابة والتأليف.

وكان العرب الفصحاء يدركون هذا التمايز فى الأسلوب القرآنى عن غيره من الأساليب. ولقد أبرز العلماء ميزات للأسلوب القرآنى اختص بها ومن بين سائر الكلام. فمن هذه الميزات:

أوّلاً ـ المرونة والمطاوعة :

«نجد فى الأسلوب القرآنى مرونة فى التأويل ومطاوعة على التقليب بحيث لا يدانيه أسلوب من الأساليب، وهذه المرونة فى التأويل لا تحتمل الآراء المتصادمة أو المتناقضة وإنما مرونة تجعله واسع الدلالة، سعة المورد الذى تزدحم عليه الوفود ثم تصدر عنه وهى ريّانة راضية»[۴۹].

فالأسلوب القرآنى يشفى قلوب العامة ويكفى الخاصة. فظاهره القريب يهدى الجماهير وسواد الناس ويملأ فراغ نفوسهم بالترغيب والترهيب والجمال الأخّاذ فى تعابيره ومشاهده. وباطنه العميق يشبع نهم الفلاسفة

إلى مزيد من الحكمة والفكر، يحل العقد الكبرى عندهم من مبدأ الكون ومنتهاه ونظامه ودقة صنعه وإبداعه»[٥٠].

وهذه المرونة من أسباب خلود القرآن فإن الأساليب العربية طوال أربعة عشر قرناً قد عراها كثير من التغيير والتلوين اللفظى والذهنى، ومع ذلک فإن القرآن بقى خالداً بأسلوبه المتميز وبخصائصه الفريدة يتجدد مع العصور وظل رائع الأثر على ترامى الأجيال إلى هذه الأيام وإلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها»[٥١].

إنّ الأسلوب القرآنى لم يستغلق فهمه على العرب الذين نزل القرآن بين ظهرانَيْهم ولم يكن لهم إلاّ الفطرة السليمة الذّواقة للجمال. وفهمه وتفاعل معه من جاء بعد ذلک من أهل العلوم والأفكار، وفهمه زعماء الفرق المختلفة على ضروب من التأويل. وقد أثبتت العلوم الحديثة المتطوّرة كثيراً من حقائقه التى كانت مخفيّة عن السابقين، وفى علم اللّه ما يكون من بعد»[٥٢].

والمعهود من كلام الناس لا يحتمل كل ذلک ولا بعضه بل كلما كان نصاً فى معناه كان أدنى إلى البلاغة. وكيفما قلبته رأيته وجهاً واحداً وصفةً واحدة لأن الفصاحة لا تكون فى الكلام إلا إبانة، وهذه لا تفصح إلاّ بالمعنى المتعين، وهذا المعنى محصور فى غرضه الباعث عليه.

لقد فهم علماء السلف الآيات الكريمة التالية غير ما فهمه العلماء المتأخرون بعد تطور العلوم الطبية والفلكية.

(أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه. بلى قادرين على أن نسوّى بنانه)[٥٣].(والأرض بعد ذلک دحها) [٥٤].

ثانیاً ـ الطريقة التصويرية فى التعبير :

من السمات البارزة للأسلوب القرآنى هو اعتماده الطريقة التصويرية للتعبير عن المعانى والأفكار التى يريد إفصاحها، سواءً كان معانى ذهنية مجددة أو قصصاً غابرة، أو مشاهد ليوم القيامة وغيرها من المجالات.

فلنتأمل فى الأسلوب القرآنى وهو يصوِّر لنا معنى النفور الشديد من دعوة الإيمان فى صورة غريبة:

(فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حُمُرٌ مستنفرة فرَّت من قسورة)[۵۵].

انظر إلى جمال البيان وانفعال السخرية، السخرية من هؤلاء الذين ينفرون كما تفر حمر الوحش من الأسد لا لشىء إلا أنهم يُدْعون إلى الإيمان. فالتعبير هنا يحرك مشاعر القارئ وتنفعل مع الصورة التى نقلت إليه.

وهناك تعبير تصويرى فى عجز الآلهة المزعومة التى يعبدها المشركون من دون اللّه.

فلننظر إلى هذا التعبير الجميل:

(إنّ الذين تدعون من دون اللّه لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له. وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه. ضعف الطالب والمطلوب).

إنّه الضعف التام الذى يُثير فى النفس السخرية اللاذعة والاحتقار المهين. إنّ هؤلاء، الآلهة (لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له).

والذباب حقير صغير ولكن الإعجاز فى خلقه هو الإعجاز فى خلق الجمل والفيل، إنها معجزة الحياة يستوى فيها الجسيم والهزيل.

انظر إلى هذا التعبير:

يريد أن يبين أن الذين كفروا لن ينالوا القبول عند اللّه.

(إنّ الّذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفَتَّحُ لهم أبوابُ السماء ولا يدخلون الجنة. حتى يلج الجمل فى سمِّ الخياط)[٥٦].

«ويدعک ترسم بخيالک صورة لتفتح أبواب السماء، وصورة أخرى لولوج الحبل الغليظ فى سمّ الخياط، ويختار من أسماء الحبل الغليظ اسم «الجمل» خاصة فى هذا المقام، ويدع للحس أن يتأثر عن طريق الخيال بالصورتين ما شاء له التأثر، ليستقر فى النهاية معنى القبول ومعنى الاستحالة، فى أعماق النفس، وقد وردا إليها من طريق العين والحس ـ تخييلا ـ وعبرا إليها من منافذ شتى فى هينة وتؤدة، لا من منفد الذهن وحده، فى سرعة الذهن التجريدية»[٥٧].

وصورة أخرى عن حالة تزعزع العقيدة.

(ومن الناس من يعبد اللّه على حرف. فإن أصابه خيرٌ اطمأن به. وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه. خسر الدنيا والآخرة)[٥٨].

«إنّ الخيال ليكاد يجسم هذا الحرف الذى يعبد اللّه عليه هذا البعض من النّاس وإنه ليكاد يتخيل الاضطراب الحسى فى وقفتهم، وهم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب، وإن هذه الصورة لترسم حالة التزعزع بأوضح مما يؤديه وصف التزعزع، لأنها تنطبع فى الحس، وتتصل منه بالنفس»[٥٩].

وتعبير آخر عن انتهاء الكون ثم محاسبة الناس على أعمالهم ودخول المحسنين الجنة والمسيئين النّار، ولذة أهل النعيم والترحيب بهم وشقاء أهل العذاب وتبكيتهم.

الأسلوب القرآنى يوضح لنا هذه الحقائق فى إطار جميل حافل بالحركة والتصوير.

قال اللّه تبارک وتعالى:

(وما قدروا اللّه حقّ قدره والأرضُ جميعاً قبضته يوم القيامة. والسموات مطويات بيمينه. سبحانه وتعالى

عمّا يشركون. ونُفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء اللّه ثُمَّ نُفخَ فيه أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ. وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ. ووُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ. وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هذَا قَالُوا بَلَى وَلكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ. قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ. وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ. وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[۶۰].

إنّ أى محاولة لتصور اللفظ منفصلاً عن المعنى، أو المعنى منفصلاً عن الأسلوب هى محاولة خاطئة منذ البدء، وقد تقتضينا ضرورات البحث العلمى أن نتحدث عن الأمور فى هذه الصورة المجزأة المنفصلة الأجزاء. أما فى عالم الواقع فلا يمكن أن يوجد هذا التجزّؤ ولا ذلك الانفصال.

ولتوضيح الأمر نضرب مثالاً من وجه الإنسان.

إن كل وجه بشرى مكون من عينين وشفتين وأنف وأذنين.. الخ. فإذا كان هذا «الموضوع» بالنسبة للوجه، فإن «الأسلوب» هو اجتماع هذه الأعضاء على نحو معين من التناسق يعطيها «شكلاً» معيناً ذا ملامح محددة. فهل يمكن فى أية لحظة أن نتصور وجه فلان من الناس على أنه مجرد عينين وشفتين وأنف وأذنين... الخ، أم نتصوره دائماً على أنه تلك «الملامح» الناشئة من اجتماع هذه الأعضاء على النحو المعين، حتى وإن تحدثنا أحياناً عن صفات خاصة بكل عضو من الأعضاء»[۶۱].

وكذلک الأمر فى التعبير بالألفاظ. المعانى المجردة ـ أى المعانى الذهنية لكل لفظ بمفرده أو لمجموع العبارة ـ هى الأعضاء أو العناصر التى يتكون منها من الموضوع. ولكنها ـ مجردة ـ ليست هى التى تعطينا المعنى المقصود فى الحقيقة، أو ليست هى التى تعطينا «التأثير» الحقيقى. إنما الذى يعطى المعنى الحقيقى أو «التأثير» هو اجتماع هذه المعانى على نحو معين من التناسق يعطيها ملامح محددة.

وإذا كان الأمر كذلک بصفة عامة فهو كذلک فى القرآن بصورة أدق»[٦٢].

إنّ القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية، أنزله سبحانه وتعالى على رسوله (صلى الله عليه وآله) ليهدى به الناس للحق، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويُسْعِدهم بالعقيدة الصافية والشريعة التامة، والخُلُق الكريم.

وكان من حكمة اللّه تعالى أن خاطب الناس على قدر مداركهم، وبالوسائل التى تحرّک مشاعرهم وتجذبهم إلى الخير والرشاد، ولذا تَنَوَّعت أساليب الخطاب فى القرآن الكريم، وقد أفحم القرآن الكريم العربَ المتكلمين بها وفحولها بقوّة أسلوبها وروعة بيانه.

الهوامش

۱. الفیروزآبادی، مجدالدین محمد بن یعقوب: القاموس المحیط، مؤسسة الرسالة، بیروت ـ لبنان، ط ۶، ۱۴۱۹هـ / ۱۹۹۸م، مادة سلب.

۲. ابن منظور: لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم ـ إیران، ۱۴۰۵هـ، مادة سلب.

۳. الزبیدی، محمد مرتضی الحسینی: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقیق: عبدالکریم الغرباوی، دار الهدیة للطباعة والنشر والتوزیع، بیروت، ۱۳۸۶هـ / ۱۹۶۷م، المجلد الثالث، مادة سلب.

۴. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، طبعة مصر، ۱۳۲۷هـ، ص ۶۶۶ وما بعدها.

۵. الزرقانی: مناهل العرفان، ط مصطفی الحلبی، القاهرة، المجلد الثانی، ص ۱۹۹.

۶. الزیات، أحمد حسن: دفاع عن البلاغة، القاهرة، لا.ت، ص ۶۲.

۷. الشایب، أحمد: الأسلوب، دراسة بلاغیة تحلیلیة لأصول الأسالیب العربیة، مکتبة النهضة المصریة، مصر، ۱۹۴۵م، ص ۴۶.

۸. الفیروزآبادی، مجدالدین محمد بن یعقوب: القاموس المحیط، مادة بین.

۹. ابن المنظور، العلامة أبوالفضل جمال الدین: لسان العرب، المجلد الثالث عشر، مادة بین.

۱۰. المجلسی: بحار الأنوار، دار إحیاء التراث العربی، ط ۳، بیروت ـ لبنان، ۱۴۰۳هـ / ۱۹۸۳م، ج ۷۹، ص ۲۹۰.

۱۱. المصدر السابق، مادة بین.

۱۲. غازی یموت: علم أسالیب البیان، دار الفکر اللبنانی، د.ت، ص ۷۸.

١٣. الرّحمن : ٣ ـ ٤ .

١٤. ابن المنظور: لسان العرب، مادة بين.

١٥. بدوى طبانة: علم البيان، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١٤ و ١٥.

١٦. غازى يموت: علم أساليب البيان، دار الإصالة، ص ٧٨.

١٧. السكاكى: مفتاح العلوم، مصر، ١٩٣٧م، ص ٧٧.

١٨. المراغى، أحمد مصطفى: علوم البلاغة، دار القلم، بيروت، لبنان، لا.ت، ص ١٨٩.

١٩. النحوى، عدنان على رضا: الأسلوب والأسلوبية، دار النحوى للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ص ٧٢.

٢٠. المرجع السابق، ص ٧٢.

٢١. فضل، صلاح: علم الأسلوب، دار الشروق، مصر، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص ٩٣.

انظر فى هذا الصدد:

Houyh, G. (١٩٦٩) **style and stylistics**, (London, Rout ledye and keyan paul) Gary. B. (١٩٦٩) **style, the problem and its solation** (The Hayae, Mouton) Youny. R. (١٩٨٠) Theme in Fictional Literature: A way into complexity, **lanyuaye and style** ١٣،٣ pp G١-٧١.

٢٢. عدنان بن ذريل: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، إتحاد الكُتّاب العرب دمشق، سوريا، ٢٠٠٠م، الفصل الرابع، ص ٦٥.

٢٣. انظر كتاب اللغة والأسلوب لعدنان بن ذريل من منشورات إتحاد الكُتّاب العرب بدمشق ١٩٨٠

م حیث الشروح الوافیة فی ذلک ویعرف (شوبنهاور) الأسلوب بأنه مظهر الفکر، فی حین یعرّفه (فلوبیر) أنه هو وحده (طریقة مطلقة) لرؤیة الأشیاء ویقول (بییرو غیرو) أنّ الأسلوب طریقة للتعبیر عن الفکر بواسطة اللغة.

۲۴. الزیات، أحمد حسن: دفاع عن البلاغة. القاهرة، لا.ت. ص ۵۴ وما بعدها.

۲۵. شلحت، فیکتور: النزعة الکلامیة فی أسلوب الجاحظ، دار المشرق، بیروت، ۱۹۹۲م، ص ۲.

۲۶. العسکری، أبو هلال: الصناعتین، تحقیق: علی محمد البجاوی ومحمد أبی الفضل إبراهیم، مطبعة الحلبی، ط۱، ۱۹۵۲م، ص ۵۵ و ۵۶.

۲۷. المصدر السابق، ص ۶۴.

۲۸. الزیات، أحمد حسن: دفاع عن البلاغة، ص ۵۶.

۲۹. المرجع السابق، ص ۵۸.

۳۰. الجرجانی، عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، تصحیح السید محمد رشید رضا، مکتبة القاهرة، ۱۳۸۱ هـ / ۱۹۶۱م، ص ۳۵.

۳۱. المصدر السابق، ص ۳۵.

۳۲. المصدر السابق، ص ۳۸.

۳۳. الجرجانی، عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، ص ۵۱.

۳۴. شلحت، فیکتور: النزْعة الکلامیة عند الجاحظ، ص ۴۹.

۳۵. الجرجانی، عبدالقاهر: أسرار البلاغة، تحقیق هـ ـ ریتر، استانبول، مطبعة وزارة المعارف، ۱۹۵۴م، ص ۲ ـ ۳.

٣٦. المصدر السابق، ص ٣.

٣٧. المصدر السابق، ص ٤.

٣٨. الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ط ٤، بيروت، لا.ت، المجلد الأول، ص ١١٥.

٣٩. شلحت، فيكتور: النزعة الكلامية فى أسلوب الجاحظ، ص ٥١.

٤٠. المصدر السابق، ص ٥١.

٤١. أرسطو طاليس: الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبدالرحمن بدوى، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ١٩٦.

٤٢. النحوى، عدنان على رضا: الأسلوب والأسلوبية، ص ٢٨٨.

٤٣. المرجع السابق، ص ٢٨٨.

٤٤. الأسلوب والأسلوبية، ص ٢٨٩.

٤٥. طه: ٤٣، ٤٤.

٤٦. الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤.

٤٧. هو عبدالملک بن هشام، ولد فى البصرة وتوفى فى الفسطاط سنة (٢١٨هـ)، من مؤلفاته «السيرة النبوية».

٤٨. ابن هشام: السيرة النبوية، دار الكتاب العربى، بيروت ـ لبنان. ج٢، ص ٤٩٩، ٥٠٠.

٤٩. العک، الشيخ خالد عبدالرحمن، الفرقان والقرآن: الحكمة للطباعة والنشر، دمشق، ط ٢، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م، ص ١٦٤.

۵۰. المرجع السابق، ص ۱۶۵.

۵۱. المرجع السابق، ص ۱۶۵.

۵۲. العک: الفرقان والقرآن، ص۱۶۵.

۵۳. القیامة: ۳ ـ ۴.

۵۴. النازعات: ۳۰.

۵۵. المدثر: ۴۹ ـ ۵۱.

۵۶. الأعراف: ۴۰.

۵۷. قطب، سید: التصویر الفنی فی القرآن، دار الشروق، بیروت. لا.ت. ص ۳۴.

۵۸. الحج: ۱۱.

۵۹. المرجع السابق، ص ۴۰.

۶۰. الزمر: ۶۶ ـ ۷۵.

۶۱. قطب، محمد: دراسات قرآنیة، دار الشروق، القاهرة، ط ۷، ۱۴۱۴هـ / ۱۹۹۳م، ص ۲۵۴ ـ ۲۵۵.

۶۲. المرجع السابق، ص ۲۵۵.